

الفصل الثاني عشر

- ١ . كَثُوبِ قَدْرٍ
- ٢ . الطَّرِيقِ .
- ٣ . المَخْطُطِ السَّمَاوِيِّ .
- ٤ . لِعَازِرٍ .
- ٥ . الجَحِيمِ .
- ٦ . القَبُولِ والخِيَانَةِ .

١ . كُتُوبٌ قَدْرًا

كان يسوع بارعاً جداً في سرد القصص، وغالباً ما كان يستخدم الأمثال لتوضيح قصده. والأمثال التي رواها يسوع هي قصص تحتوي على رسالة بسيطة مُحَدَّدة. وفي هذه المرّة، وَجَّه يسوع المَثَل إلى بعض الأشخاص الذين كانوا يظنُّون أنفسهم صالحين ولديهم ثقة عالية بأنفسهم.

وَقَالَ لِقَوْمٍ وَإِنِّي بِنَفْسِهِمْ أَنَّهُمْ أَبْرَارٌ، وَيَحْتَقِرُونَ الْآخِرِينَ هَذَا الْمَثَلُ: إِنْسَانَانِ صَعِدَا إِلَى الْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا، وَاحِدٌ فَرِيسِيٌّ وَالْآخَرُ عَشَّارٌ

(لوقا ١٨: ٩، ١٠)

بحسب الثقافة اليهودية السائدة في ذلك الوقت، كان الناس ينظرون إلى الفريسيين على أنهم يُطِيقُونَ شريعة موسى بتدقيق. وعلى النقيض من ذلك، كان الناس ينظرون إلى العشارين (جُباة الضرائب) باعتبارهم مُحْتَالِينَ؛ وفي هذا المثل نرى أن فريسيّاً وَعَشَّاراً تواجدا في المكان نفسه لكي يُصَلِّيَا.

الفريسي

❖ يُفترض أن ذلك الفريسي كان يصوم عن الطعام بهدف تخصيص وقت للصلاة. كما أنه كان يُعطي عُشْرَ دخله للرب.

أَمَّا الْفَرِيسِيُّ فَوَقَفَ يُصَلِّي فِي نَفْسِهِ هَكَذَا: اللَّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْخَاطِئِينَ الظَّالِمِينَ الزُّنَّاءِ، وَلَا مِثْلَ هَذَا الْعَشَّارِ. أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي الْأُسْبُوعِ، وَأَعُشِّرُ كُلَّ مَا أَقْتَنِيهِ. ❖ (لوقا ١٨: ١١، ١٢)

راح الفريسي يمتدح نفسه أمام الله بأنه يفعل كذا وكذا، وبأنه لا يفعل كذا أو كذا. لكن حتى لو كانت القائمة أطول من ذلك فإن هذا لا يهْمُ لأنَّ طريقة صلواته كشفت عن حال قلبه. فقد كان هذا الفريسي يتكل على حياته المُستقيمة (أو أعمال الخير التي يقوم بها) لكي يجعل نفسه باراً أمام الله. لكن يبدو أنه نسي أن معايير الله تتطلَّب الكمال.

العشار

وَأَمَّا الْعَشَّارُ فَوَقَفَ مِنْ بَعِيدٍ، لَا يَشَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ، بَلْ قَرَعَ عَلَى صَدْرِهِ قَائِلاً: «اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِئُ»

(لوقا ١٨: ١٣)

أدرك ذلك العشار (جابي الضرائب) أنه كان رجلاً خاطئاً، وأنه يحتاج لمعونة الله. لذلك، فقد راح يصرخ إلى الله طلباً للرحمة والنجاة من العقاب العادل الذي يستحقه بسبب خطاياهم. ثُمَّ تابع الرب يسوع حديثه فقال:

❖ الشخص المُبرَّر هو الشخص الذي يتمتع بعلاقة سليمة مع الله.

أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هَذَا نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مُبْرَراً دُونَ ذَلِكَ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَضَعُ، وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْفَعُ

(لوقا ١٤: ١٤)

التوبة

من المُدهش هنا أن الرب يسوع ربط التوبة بالتواضع! ويوضِّح الكتاب المقدس إن الكبرياء هي التي جعلت الشيطان يَسْتَقْطِل. كما أن الكبرياء هي التي تمنع الإنسان من الاعتراف بأنه خاطئ ويحتاج لوضع ثقته في الله. وكما رأينا، فقد ظنَّ ذلك الفريسي أنه إذا اجتهد في

تطبيق الشريعة وممارسة الأعمال الصالحة فسوف يكون مريضاً أمام الله. لكن في واقع

الأمر أن كبريائه قد منعه من رؤية حاجته الحقيقية. لذلك، قال الرب يسوع:
 «حَسَنًا تَنَبَّأ إِشْعِيَاءُ عَنْكُمْ أَنْتُمْ الْمَرَاتِينُ: كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: هَذَا الشَّعْبُ يَكْرُمُنِي بِشَفْتِيهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ
 فَمُتَبَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا، وَيَاطِلُ بِعُيُودِي وَهُمْ يَعْلَمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ. لِأَنَّكُمْ تَرَكْتُمْ وَصِيَّةَ
 اللَّهِ وَتَتَمَسَّكُونَ بِتَقْلِيدِ النَّاسِ ...»
 (مرقس ٧: ٦-٨)

أعمى

في الظاهر، كان الفريسيون يسعون دوماً للظهور بمظهر الأبرار، لكنهم كانوا خطأ من
 الداخل. كذلك، فقد أساءوا إلى الله لأنهم أضافوا إلى الوصايا العشر قواعد من صنع
 البشر. لذلك، قال الرب يسوع عنهم:

«مُتَبَلِّغِينَ كَلَامَ اللَّهِ بِتَقْلِيدِكُمْ الَّذِي سَلَّمْتُمُوهُ. وَأُمُورًا كَثِيرَةً مِثْلَ هَذِهِ تَفْعَلُونَ»
 (مرقس ٧: ١٢)

كان الفريسيون يؤمنون أن طقوسهم وممارساتهم الدينية، وأعمالهم الحسنة، وأصلهم
 اليهودي هي أمور تجعلهم أبراراً في نظر الله. لكن الرب يسوع قال بأن مثل هذه الأشياء لا
 تجعل المرء مقبولاً لدى الله لأن الشرور:
 «... تَخْرُجُ مِنَ الدَّخْلِ وَتُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ»
 (مرقس ٧: ٢٣)

وهكذا، فإن الكتاب المقدس واضح بهذا الشأن. فالأعمال الحسنة لا تكفي لكي تتمتع بعلاقة
 سليمة مع الله حيث نقرأ في كلمة الله:
 «لَكُنَّا أَصْبَحْنَا كَنَجَسٍ، وَأَضَحَّتْ جَمِيعُ أَعْمَالِ بَرِّنا كَكُتُوبٍ قَدِرٍ ...»
 (إشعياء ٦٤: ٦ - التفسيرية)

عبيد

يعتقد البعض أنهم نماذج للكمال؛ لكن الكتاب المقدس يقول العكس تماماً حيث أنه يعلن أن
 جميع الناس خطأ ويحتاجون لنعمة الله المخلصة:
 «... صِرْتُمْ عِبِيدًا ... لِلخَطِيئَةِ الَّتِي تَقُودُ إِلَى الْمَوْتِ ...»
 (رومية ٦: ١٦ - المشتركة)

وهكذا، فقد لفت الخطيئة سلاسلها وقيودها حول حياة كل إنسان. وهذا هو ما قاله الرب
 يسوع شخصياً:

«الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ كُلُّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيئَةَ هُوَ عَبْدٌ لِلخَطِيئَةِ»

(يوحنا ٨: ٢٤)

غالباً ما نصاب بالإحباط لأننا كلما حاولنا بجهد أكبر أن نفعل الصواب، تجسد الفشل
 أمامنا بصورة أكبر أيضاً. وحينما نتفوق في أحد مجالات الحياة فإننا نخفق في مجال آخر!
 وهكذا فإن طبيعتنا الخاطئة تعمل بكل الطرق الممكنة ضد جهودنا للعيش بطريقة صحيحة.

علاوة على ذلك فإن كلمة الله تتحدث عن أن الشيطان يجعل الإنسان عبداً له. وهذا
 لا يعني بالضرورة أن يكون المرء مُنغمساً في أعمال السحر والشعوذة وما إلى ذلك من
 ممارسات؛ لكن الشيطان يتحايل على الإنسان ويُغريه عن طريق التجربة والكبرياء للقيام
 بما يريده منه. وفي الحقيقة أن الشيطان يعمل جاهداً لإقناع الإنسان بأنه صالح في الأصل.

لكن الكتاب المقدس يُحذرننا بأنه ينبغي على الناس جميعاً أن:

يَسْتَنبِطُوا مِنْ فَخِّ إِبْلِيسِ إِذْ قَدْ اقْتَنَصَهُمْ لِإِرَادَتِهِ
 (٢ تيموثاوس ٢: ٢٦)

إنَّ كَوْنَ الإنسانِ عَبْدًا لِلخَطِيئَةِ والشَّيْطَانِ لَا يُبَرِّرُ نَمَطَ حَيَاتِهِ الشَّيْطَانِي. فَمَا زَالَ اللهُ يُحْمَلُ كُلَّ شَخْصٍ الْمَسْئُولِيَّةَ عَنِ خِيَارَاتِهِ وَقَرَارَاتِهِ. لَكِنَّ عِبُودِيَّةَ الْإِنْسَانِ لِلخَطِيئَةِ وَالشَّيْطَانِ تَخْلُقُ مُشْكَلَةً كَبِيرَةً. فَالْكَامِلُ الَّذِي يَحْتَاجُهُ الْإِنْسَانُ لِلْمُتَوَلَّى فِي مَحْضَرِ اللهِ الْكَامِلِ الْقُدُّوسِ هُوَ أَكْبَرُ بِكَثِيرٍ مِمَّا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ تَحْقِيقَهُ.

لهذا، فإنَّ السُّؤالَ القَدِيمَ الَّذِي طَرَحَهُ النَّبِيُّ أَيُّوبُ مَا زَالَ قَائِمًا حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا:
... فَكَيْفَ يَتَبَرَّرُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ اللهِ؟
(أَيُّوبُ ٩: ٢)

وهكذا، كيف يُمكننا أن نتخلص من خطيئتنا وأن نحصل على برٍ يُساوي برَّ الله لكي نتمكّن من المتولّى في محضره؟

لقد وُلدت مسيحيًا ...

إنَّ كلمةَ «مسيحي» تعني الانتماء إلى السيّد المسيح أو إلى عائلة السيّد المسيح. لكن للأسف الشديد فقد تمَّ تشويه هذه الكلمة بصورة يعجز العقل عن تصديقها. لكن حتّى في المعنى الأصلي للكلمة فإنَّ القول بأنَّ شخصاً ما قد وُلد مسيحيًا هو قول مغلوطن. فكما أنَّ ولادتك في مُستشفى لا تجعل منك طبيباً، فإنَّ ولادتك في بيت مسيحي لا تجعل منك شخصاً مسيحيًا. وباختصار نقول إنَّ الولادة الجسديّة لا علاقة لها بعلاقتنا مع الله أو بمصيرنا الأبدي.

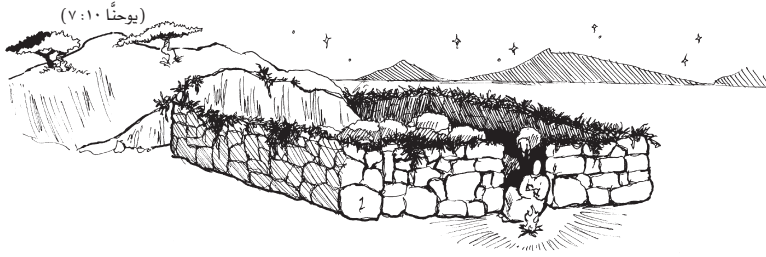
ورغم أنَّ هذه الكلمة تُستخدم للإشارة إلى شعوب بكاملها، إلا أنَّ معناها الصحيح لا ينطبق إلا على الأفراد. فبعض الشعوب التي تقول عن نفسها بأنها مسيحيّة قد اقترفت جرائم فظيعة باسم المسيح. هذا عدا عن الشعوب الأخرى التي تدّعي أنَّها مسيحيّة رغم أنَّها غارقة في مُستنقعٍ من الفساد الأخلاقي!

٢ . الطريق

كثيراً ما كان الرب يسوع يستخدم تجارب وخبرات الحياة اليومية المألوفة لتوضيح بعض الحقائق الروحية. وفي هذه القصة، بدأ يسوع بتذكير السامعين بنوع الحظيرة التي تحفظ فيها الخراف. فقد كانت حظيرة الخراف تُبنى من حجارة، وكانت الأشواك تُترك لتنمو فوقها لمنع الحيوانات المفترسة أو اللصوص من تسلق الجدار. وكان للحظيرة باب واحد فقط.

أثناء النهار، كان الراعي يرعى قطيعه في المراعي الخضراء. وفي المساء، كانت الخراف تعود إلى حظيرتها في حين ينام الراعي أمام باب الحظيرة. وهكذا، لم يكن بإمكان أي شخص أن يدخل الحظيرة، ولم يكن بإمكان الخراف أن تغادر الحظيرة دون أن يستيقظ الراعي. وبذلك، كان جسد الراعي هو الباب الفعلي للحظيرة.

فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي أَنَا بَابُ الْخِرَافِ،



وصف الرب يسوع الأشخاص الذين يؤمنون به بأنهم يشبهون الخراف التي تنام آمنة في حظيرتها.

«أَنَا هُوَ الْبَابُ. إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ...»

(يوحنا ١٠:٩)

قال الرب يسوع إنه هو الباب الوحيد؛ وهذا يعني أنه ليست هناك أبواب أخرى. فمن خلاله فقط يمكن للمرء أن يخلص من العواقب المخيفة للخطية. ومن خلاله فقط يمكن للمرء أن ينال الحياة الأبدية.

«السَّارِقُ لَا يَأْتِي إِلَّا لِلسَّرِقِ وَيَذْبَحُ وَيُهْلِكُ، وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةً وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ»

(يوحنا ١٠:١٠)

من المعروف أن اللصوص لا يهتمون بمصلحة الخراف. وكذلك الحال بالنسبة للمعلمين الكذبة الذين يستخدمون كلمة الله من أجل منافعهم الشخصية. وللأسف الشديد فإن هؤلاء المعلمين الكذبة يتكرونها طرقاً مختلفة يدعون بأنها تقود للحياة الأبدية. ورغم أن هذه الطرق قد تبدو جيدة وصالحة أحياناً، إلا أنها تؤدي جميعها إلى الموت الروحي.

تُوجَدُ طَرِيقٌ تَطْهَرُ لِلإِنْسَانِ مُسْتَقِيمَةً، وَعَاقِبَتُهَا طَرِيقُ الْمَوْتِ (أمثال ١٤: ١٢)

أمَّا الرب يسوع المسيح فقد جاء لكي يعطي حياة أفضل لكل من يؤمن به. أجل، إنه يريد أن يعطينا حياة تفيض بالفرح حيث قال:

«أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الْآبِ إِلَّا بِإِيَّايَ»

(يوحنا ١٤: ٦)

وهكذا فقد قال الرب يسوع عن نفسه إنه **الطريق** الوحيد إلى الله.

وإن كلمته هي **الحق** الوحيد.

وإن الحصول على **الحياة** الأبدية يتم من خلاله هو فقط.

لقد أكد الرب يسوع أنه ما من أحدٍ يستطيع أن يأتي إلى الله الآب بطريقةٍ أخرى. فكما أن الراعي كان هو الباب الوحيد لحظيرة الخراف، فإن الرب يسوع المسيح هو الطريق الوحيد إلى الله الآب.



٣ . المخطط السماوي

حينما تدرس حياة الرب يسوع المسيح سوف تكتشف شيئاً فشيئاً أنه كشف لتلاميذه عن خطة وهدف مجيئه إلى الأرض.

مِنَ ذَلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يُسَوِّعُ يَظْهَرُ لِتَلَامِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا مِنْ الشُّجُونِ وَرُؤْسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ. وَيَعِيشَ الْيَوْمَ الثَّالِثَ يَوْمًا (مَتَّى ١٦: ٢١)

قام الرب يسوع المسيح بشيء مُستحيل على الصعيد البشري. فقد أخبر تلاميذه بصورة مُسبقة عن مكان وزمان وسبب موته. كما أنه وصف بعض الأحداث التي ستؤدي إلى موته. وقد استاء أحد التلاميذ (ألا وهو بطرس) من كلام يسوع هذا عن موته:

فَأَخَذَهُ بَطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهَرُهُ قَائِلًا: «حَاشَاكَ يَا رَبُّ! لَا يَكُونُ لَكَ هَذَا» (مَتَّى ١٦: ٢٢)

من نواح عديدة، يُمكن تشبيه بطرس بالكثير من الناس في يومنا هذا. فهم يُفكرون أن مثل ذلك الأمر يُمكن أن يحدث ليسوع – لا سيّما إذا كان هو الله بالفعل! لكنّ الرب يسوع قال لبطرس كلاماً قاسياً:

فَأَنْتَنِي وَقَالَ لِبَطْرُسَ: «اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانَ! أَنْتَ مَعْتَرَةٌ لِي، لِأَنَّكَ لَا تَهْتَمُّ بِمَا لِلَّهِ لَكِنَّ بِمَا لِلنَّاسِ» (مَتَّى ١٦: ٢٣)

قال الرب يسوع لبطرس إنه يخضع لتأثير الشيطان، وأنه لا يفهم خطة الله. فلا بدّ ليسوع أن:

... يُقْتَلَ، وَيَعِيشَ الْيَوْمَ الثَّالِثَ يَوْمًا (مَتَّى ١٦: ٢١)

لكن ما الذي دفع الرب يسوع لقول هذا الكلام؟ هذا هو ما سنفهمه في الصفحات اللاحقة من هذا الكتاب.

حادثة التجلي

بعد ستة أيام من إخبار يسوع لتلاميذه عن خطته، اصطحب ثلاثة منهم إلى جبل عال لكي يعطيهم فكرة بسيطة عن حقيقته.

وَبَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ أَخَذَ يُسَوِّعُ بَطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا أَخَاهُ وَصَعِدَ بِهِمْ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ مُفْرَدِينَ. وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيَاضًا كَالنُّورِ (مَتَّى ١٧: ٢٠)

تغيّرت هيئة يسوع الخارجيّة وأصبح وجهه مُضيئاً كالشمس، وثيابه بيضاء كالنور. وهكذا، فقد رأى هؤلاء التلاميذ الثلاثة نفس ضياء الله الرائع الذي كان يملأ قدس الأقداس في خيمة الاجتماع في زمن موسى. ورغم أن ذلك النور كان يُبْعَثُ من يسوع طوال الوقت، إلا أن الناس لم يكونوا يرونه.

وَإِذَا رَجَلَانِ يَتَكَلَّمَانِ مَعَهُ، وَهُمَا مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ، الَّذِينَ ظَهَرَا بِمَجْدٍ، وَتَكَلَّمَا عَنْ خُرُوجِهِ الَّذِي كَانَ عَتِيدًا أَنْ يَكْمُلَهُ فِي أُورُشَلِيمَ (لوقا ٩: ٣٠، ٣١)

أُصيب بطرس بالذهول والدهشة فبدأ بالتعبير عن الأفكار التي راودته آنذاك:

فَجَعَلَ بَطْرُسُ يَقُولُ لِيَسُوعَ: «يَا رَبُّ، جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ هَهُنَا! فَإِنَّ شَيْئًا نَصْنَعُ هُنَا ثَلَاثَ مَطَالٍ: لَكَ

وَاحِدَةً، وَمُلُوسَى وَاحِدَةً، وَإِلِيلِيَا وَاحِدَةً. وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا سَحَابَةٌ نِيرَةً ظَلَّتْهُمْ، وَصَوَّتْ مِنْ السَّحَابَةِ قَائِلًا: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَّرْتُ، لَهُ اسْمَعُوا!» (مَتَّى ١٧: ٤، ٥)

وهكذا، فقد تكلم الله الأب من السماء. ثم نقرأ في كلمة الله عمَّا حدث بعد ذلك: «وَلَمَّا سَمِعَ التَّلَامِيذُ سَقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَخَافُوا جَدًّا. فَجَاءَ يَسُوعُ وَبَسَّهَمُ وَقَالَ: «قُومُوا، وَلَا تَخَافُوا». فَرَفَعُوا أَعْيُنَهُمْ وَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا إِلَّا يَسُوعَ وَحَدَهُ. وَفِيمَا هُمْ نَازِلُونَ مِنَ الْجَبَلِ أَوْصَاهُمُ يَسُوعُ قَائِلًا: «لَا تَعْلَمُوا أَحَدًا بِمَا رَأَيْتُمْ حَتَّى يَمُوتَ ابْنُ الْإِنْسَانِ مِنَ الْأَمْوَاتِ» (مَتَّى ١٧: ٦-٩)

يا لها من حادثة عجيبة حقًا! ورغم أنَّ التلاميذ لم يعرفوا مغزى ذلك كله في ذلك الوقت، إلَّا أنَّ الرسول بطرس كتب عن تلك الحادثة في وقت لاحق فقال:

لَأَنَّا لَمْ نَسْمَعْ خَرَافَاتٍ مُصَنَّعَةً، إِذْ عَرَفْنَاكُمْ بِقُوَّةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَمَجِيئِهِ، بَلْ قَدْ كُنَّا مَعَايِنِينَ عَظَمَتَهُ. لِأَنَّهُ أَخَذَ مِنَ اللَّهِ الْآبِ كَرَامَةً وَمَجْدًا، إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ صَوْتُ كَهَذَا مِنَ الْمَجْدِ الْأُسْنَى: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي أَنَا سُرَّرْتُ بِهِ». وَنَحْنُ سَمِعْنَا هَذَا الصَّوْتِ مُقْبِلًا مِنَ السَّمَاءِ، إِذْ كُنَّا مَعَهُ فِي الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ (٢ بطرس ١: ١٦-١٨)

٤ . لعازر

وَكَانَ إِنْسَانٌ مَرِيضًا وَهُوَ لِعَازَرَ، مِنْ بَيْتِ عَنِيَا مِنْ قَرْيَةِ مَرِيمَ وَمَرْتَا أُخِيهَا... فَأَرْسَلَتِ الْأَخْتَانِ إِلَيْهِ قَائِلَتَيْنِ: «يَا سَيِّدُ، هُوَذَا الَّذِي تَحِبُّهُ مَرِيضٌ»

(يوحنا ١١: ٣)



لعازر ومريم ومرثا من أصدقاء يسوع كان المُقَرَّبِينَ، وكانوا يقطنون على بُعد بضعة أميال من أورشليم. وفي الوقت الذي مرض فيه لعازر، كان الرب يسوع في الجانب الآخر من نهر الأردن على بُعد مسيرة يوم كامل من بيت عنيا.

وَكَانَ يَسُوعُ يُحِبُّ مَرْتَا وَأَخِيهَا وَعَازَرَ. فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّهُ مَرِيضٌ مَكَثَ حِينَئِذٍ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ يَوْمَيْنِ (يوحنا ١١: ٦، ٥)

من وجهة نظر بشرية، لم يكن ذلك التأخير منطقيًا على الإطلاق! ففي وقتنا الحاضر أصبح الكل يعرف أنَّ

الوصول السريع لفرق الإنقاذ يلعب دورًا كبيرًا في إنقاذ حياة المرضى أو المُصابين. لكنَّ الكتاب المقدس يقول إنَّ يسوع بقي في الموضع الذي كان فيه لمدة يومين إضافيين! فما الذي

كان يدور في ذهنه؟

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ لِتَلَامِيذِهِ: «لِنَذْهَبْ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ أَيْضًا». قَالَ لَهُ التَّلَامِيذُ: «يَا مَعْلَمُ، الْآنَ كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَنْ يَرْجُمُوكَ، وَنَذْهَبُ أَيْضًا إِلَى هُنَاكَ.»

فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ حِينَئِذٍ عَلَانِيَةً: «لِعَازَرُ مَاتَ. وَأَنَا أَفْرَحُ لِأَجْلِكُمْ إِنِّي لَمْ أَكُنْ هُنَاكَ، لِتُؤْمِنُوا. وَلَكِنْ نِنْدْهَبُ إِلَيْهِ!» (يوحنا ١١: ٨، ٧، ١٥)

مِيتٌ مُنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ

فَلَمَّا أتَى يَسُوعُ وَجَدَ أَنَّهُ قَدْ صَارَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ فِي الْقَبْرِ. وَكَانَتْ بَيْتٌ عَنِّيَا قَرِيبَةً مِنْ أُورُشَلِيمَ نَحْوَ خَمْسِ عَشْرَةَ غُلُوقَةً حِوَالِي ٣ كيلومترات. وَكَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ قَدْ جَاءُوا إِلَى مَرْتَا وَمَرْيَمَ لِيُعِزُّوهُمَا عَنْ أُخِيهِمَا. فَلَمَّا سَمِعَتْ مَرْتَا أَنَّ يَسُوعَ أَتَى لَأَقْتَهُ، وَأَمَّا مَرْيَمُ فَاسْتَمَرَّتْ جَالِسَةً فِي الْبَيْتِ. فَقَالَتْ مَرْتَا لِيَسُوعَ: «يَا سَيِّدُ، لَوْ كُنْتُ هَهُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي لَكِنِّي الْآنَ أَيْضًا أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ يَعْطِيكَ اللَّهُ إِيَّاهُ» (يوحنا ١١: ١٧-٢٢)

لا يُخبرنا الكتاب المقدس ما الذي كانت تُفكّر فيه مرثا آنذاك، أو ما الذي يُمكن ليسوع أن يطلبه من الأب. لكن النقطة الواضحة تماما هنا هي إيمانها به:

قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «سَيَقُومُ أَخُوكَ». قَالَتْ لَهُ مَرْتَا: «أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَقُومُ فِي الْقِيَامَةِ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ» (يوحنا ١١: ٢٣، ٢٤)

لم تتدهش مرثا من عبارة الرب يسوع. فقد كانت تعرف أن الأسفار المقدسة تقول إن جميع الناس سيرجعون إلى الحياة في نهاية العالم حيث سيُدين الله الجميع. وحتى ذلك الحين فإن المرء يموت مرة واحدة فقط.

قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوَّمَاتٍ فَسَيَحْيَا، وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الْأَبَدِ. أَتُؤْمِنِينَ بِهَذَا؟» (يوحنا ١١: ٢٥، ٢٦)

كانت تلك الكلمات قوية بالفعل. فقد قال يسوع لمرثا إن أخاها لعازر لن ينتظر حتى يوم الدينونة لكي يقوم من الموت؛ فيسوع هو الذي يهب الحياة؛ وقد كان بإمكانه أن يُعيد الحياة إلى لعازر في أي وقت. فهل آمنت مرثا به؟

قَالَتْ لَهُ: «نَعَمْ يَا سَيِّدُ. أَنَا قَدْ آمَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، الْإِتِي إِلَيَّ الْعَالَمِ» (يوحنا ١١: ٢٧)

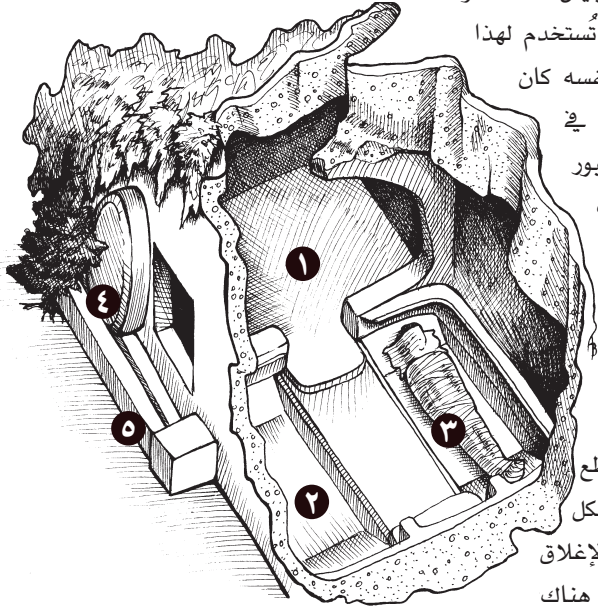
لم تؤمن مرثا بيسوع فحسب؛ بل أكدت أنه المسيح (أو المسيا) أيضا.

هناك تفسيرات عديدة لبكاء يسوع عند قبر لعازر. فلعله بكى لأنه شعر بالحزن الذي يشعر به الناس من حوله. وربما بكى حينما رأى الدمار الذي جلبته الخطيئة على العالم الكامل الذي خلقه. ويقول البعض إن يسوع حزن لفكرة إرجاع لعازر إلى الحياة - من الفرح والكمال الموجودين في السماء إلى الأرض بكل ما فيها من خطيئة وأحزان. وربما بكى يسوع لجميع هذه الأسباب أو لغيرها. وهكذا، رغم أن الكتاب المقدس لا يُخبرنا لماذا بكى يسوع عند قبر لعازر؛ إلا أن بكاءه ذلك يبيّن لنا أنه كان يشعر مع الناس رغم أنه كان بلا خطيئة.

فَقَالَ الْيَهُودُ: «انظُرُوا كَيْفَ كَانَ يُجِيبُهُ»، وَقَالَ بَعْضُ مِنْهُمْ: «أَلَمْ يَقْدِرْ هَذَا الَّذِي فَتَحَ عَيْنَيِ الْأَعْمَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا أَيْضًا لَا يَمُوتُ؟»، فَانزَعَجَ يَسُوعُ أَيْضًا فِي نَفْسِهِ وَجَاءَ إِلَى الْقَبْرِ، وَكَانَ مَعَارَةً وَقَدْ وُضِعَ عَلَيْهِ حَجَرٌ

(يوحنا ١١: ٣٦-٣٨)

كان الدفن بحسب التقاليد اليهودية في تلك الأيام يتم بوضع الجسد الميت في قبر يُصَبَح مع مرور الأيام المتوئ الأخير للأجيال اللاحقة. وعادةً



ما كانت الكهوف الطبيعية تُستخدم لهذا

الغرض رغم أن الضريح نفسه كان

يُحفر في الصخر القاسي في

بعض الأحيان. كانت تلك القبور

واسعة بحيث يُمكن الوقوف

فيها باستقامة ١ في غرفة

البكاء. وفي الداخل، كانت

هناك ٢

رفوف

محفورة في الصخر توضع

عليها الجثث. ٣ وكان يتم قطع

صخرة على شكل

دولاب ٤ بزّن عدّة أطنان لإغلاق

المدخل بإحكام. وكان هناك

خندق ٥ يتدرّج فيه الباب الصخري إلى

الأمم وإلى الخلف. وحينما يتم إغلاق الباب، كان هذا الباب يستند إلى تجويف صغير

أمام المدخل لمنعه من التدرّج إلى الورااء وفتح المدخل.

قَالَ يَسُوعُ: «ارْفَعُوا الْحِجْرَةَ، قَالَتْ لَهُ مَرْتًا، أَخْتُ الْمَيْتِ: «يَاسِيدُ، قَدْ أَنْتَنَ لِأَنَّ لَهُ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ».

قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: إِنْ آمَنْتَ تَرَيْنَ مَجْدَ اللَّهِ؟»

فَرَفَعُوا الْحِجْرَةَ حَيْثُ كَانَ الْمَيْتُ مَوْضُوعًا، وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقَ، وَقَالَ: «أَيُّهَا الْآبُ، أَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلَكِنْ لِأَجْلِ هَذَا أَتَجَمِّعُ التَّوَاقِفِ قَلْتُ، لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي».

وَلَمَّا قَالَ هَذَا صَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «لِعَازَرَ، هَلُمَّ خَارِجًا!» فَخَرَجَ الْمَيْتُ وَيَدَاهُ وَرِجْلَاهُ مَرْبُوطَاتٌ

بِأَقْمِطَةٍ، وَوَجْهُهُ مَلْفُوفٌ بِمَنْدِيلٍ.

فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «حُلُوهُ وَدَعُوهُ يَذْهَبُ»

(يوحنا ١١: ٣٩-٤٤)

من الجيّد أن الرب يسوع نطق باسم لعازر في تلك اللحظة. فلو أنه اكتفى بالقول: «هَلُمَّ

خَارِجًا» لكان جميع الأموات في القبر قد قاموا. وهكذا، فقد عاد لعازر إلى الحياة من

جديد! وقد تعيّن على أصدقائه أن يفكوا اللفائف الطويلة عنه قبل أن يتمكن من المشي. وما

من شك أن يسوع قام بمعجزة خارقة هناك!

فَكَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى مَرْيَمَ، وَنَظَرُوا مَا فَعَلَ يَسُوعُ، آمَنُوا بِهِ. وَأَمَّا قَوْمٌ مِنْهُمْ

فَمَضَوْا إِلَى الْفَرِيسِيِّينَ وَقَالُوا لَهُمْ عَمَّا فَعَلَ يَسُوعُ. فَجَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِيسِيُّونَ مَجْمَعًا

وَقَالُوا: «مَاذَا نَصْنَعُ؟ فَإِنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ يَعْمَلُ آيَاتٍ كَثِيرَةً. إِنْ تَرَكْنَاهُ هَكَذَا يُؤْمِنُ الْجَمِيعُ بِهِ،

فِيآبِي الرُّومَانِيِّينَ وَيَأْخُذُونَ مَوْضِعَنَا وَأَمْتَنَا». فَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ تَشَاوَرُوا لِيَقْتُلُوهُ

(يوحنا ١١: ٤٥-٤٨: ٥٢)

وهكذا، في حين أن البعض آمنوا بالرب يسوع، إلا أن البعض الآخر راحوا يُخططون ويتآمرون

لقتله. فحتى معجزة إقامة الأموات لم تكن كافية لإقناع رؤساء الكهنة والفريسيين. فقد كانت هناك العديد من الأمور المعرضة للخطر - ولا سيما نفوذهم وكبرياءهم.

أي نوع من الرجال هذا؟

لم يترك الرب يسوع مجالاً للشك في من يكون. ففي إحدى المرات، تعرّض التلاميذ لعاصفة هوجاء في وسط البحر. ورغم أن الرب يسوع كان على ظهر السفينة، إلا أنه كان مستغرقاً في النوم. وحينما أيقظه التلاميذ وأخبروه عن الخطر المحدق بهم:

... فَأَمَّ وَانْتَهَرَ الرِّيحَ وَالْبَحْرَ، فَصَارَ هُدُوءٌ عَظِيمٌ.
فَتَعَجَّبَ النَّاسُ قَائِلِينَ: «أَيُّ إِنْسَانٍ هَذَا؟ فَإِنَّ الرِّيحَ وَالْبَحْرَ جَمِيعًا تُطِيعُهُ!» (مَتَّى ٨: ٢٦، ٢٧)

فكما أن الله خلق المياه بكلمة منه، فقد أسكت الأمواج بكلمة منه أيضاً. وكما أن الله خلق الحياة بكلمة منه، فقد كان قادراً على استعادة الحياة بأمرٍ منه. وقد قال الرب يسوع:

«أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ» (يوحنا ١١: ٢٥)

٥ . الجحيم

يسوع يُعلمُ لمدّة ثلاث سنين كل من يودّ الاستماع إليه. ويبدو أن تلك السنوات بقيت الثلاث كانت قصيرة جداً في ضوء الأحداث الكثيرة التي جرت خلالها. وقد تراوحت تعاليم الرب يسوع بين التعزية والحض، وبين الأمثال والقصص الحقيقية. وفي

هذه الحادثة، سرّد الرب يسوع القصّة الحقيقية التالية:

«كَانَ إِنْسَانٌ غَنِيٌّ وَكَانَ يَلْبَسُ الْأَرْجَوَانَ وَالْبَزَّ وَهُوَ يَتَعَمَّقُ كُلَّ يَوْمٍ مَتْرَفَهَا. وَكَانَ مَسْكِينٌ اسْمُهُ لِعَازَرُ، الَّذِي طُرِحَ عِنْدَ بَابِهِ مَضْرُوبًا بِالْقُرُوحِ، وَيَسْتَهَيُّ أَنْ يَشْبَعَ مِنَ الْفَتَاتِ السَّاقِطِ مِنْ مَائِدَةِ الْغَنِيِّ، بَلْ كَانَتْ الْكِلَابُ تَأْتِي وَتَلْحَسُ قُرُوحَهُ» (لوقا ١٦: ١٩-٢١)

المسكين يموت

«فَمَاتَ الْمَسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ...» (لوقا ١٦: ٢٢)

حضن إبراهيم في هذه القصّة يمثّل السّماء التي يُشار إليها في بعض الأحيان بالفردوس. ورغم أن اسم الرجل المسكين في هذه القصّة هو «لعازر»، إلا أنه يختلف عن ذلك الذي أقامه الرب يسوع من الموت في القصّة السابقة. وعلى أي حال فقد ذهب هذا الرجل المسكين إلى الفردوس لا لأنّه كان مسكيناً، بل لأنّه آمن بالرب.

الغني يموت

... وَمَاتَ الْغَنِيُّ أَيْضًا وَدَفِنَ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الْجَحِيمِ وَهُوَ فِي الْعَذَابِ، وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فِي حُضْنِهِ، فَهَادَى وَقَالَ: «يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، ارْحَمْنِي، وَأَرْسِلْ لِعَازَرَ لِيُبَلِّ طَرْفَ إِبْصِعِهِ بِمَاءٍ وَيُبْرِدَ لِسَانِي، لِأَنِّي مُعَذَّبٌ فِي هَذَا اللَّهَبِ»
(لوقا ١٦: ٢٢-٢٤)

ذهب الغني إلى الجحيم لا لأنه غني، بل لأنه تجاهل كلمة الله وعاش لنفسه فقط أثناء حياته على الأرض. والآن، ها هو يتوسل إلى إبراهيم طلباً للعون والمساعدة:
فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «يَا أَبِي، اذْكُرْ أَنَّكَ اسْتَوْفَيْتَ حَيَاتَكَ فِي حَيَاتِكَ، وَكَذَلِكَ لِعَازَرَ الْبَلَاءِ. وَالآنَ هُوَ يَتَعَرَّى وَأَنْتَ تَتَعَذَّبُ. وَفَوْقَ هَذَا كُلِّهِ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ هُوَ عَظِيمَةٌ قَدْ أَتَيْتَ، حَتَّى إِنْ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْعُبُورَ مِنْ هَهُنَا إِلَيْكُمْ لَا يَقْدِرُونَ، وَلَا الَّذِينَ مِنْ هُنَاكَ يَجْتَازُونَ إِلَيْنَا»
(لوقا ١٦: ٢٥-٢٦)

مصير أبدي

توضّح لنا كلمة الله أن المرء يستطيع أن يتوب (أي أن يُغيّر فكره) طالما أنه حيٌّ يرزق على سطح هذه الأرض. أمّا بعد أن يموت فلن يحظى بفرصة ثانية للهروب من الجحيم والذهاب إلى الفردوس. لهذا، فإنّ الأشخاص الذين يموتون وهم لا يتمتّعون بعلاقة سليمة مع الله يظلّون مُنفصلين عنه إلى الأبد. وليست هناك آية واحدة في الكتاب المقدّس تقول إنه بإمكان المرء أن يهرب من مكان العذاب هذا. فرغم أنّ الغني صرخ مُلتمساً التخفيف من عذابه ومُعاناته، إلّا أنّ ذلك لم يكن ممكناً. فلا يُمكن للمرء أن يحصل على رحمة الله إلاّ أثناء حياته على الأرض. وعندها، فتابع الغني حديثه:
فَقَالَ: «أَسْأَلُكَ إِذَا، يَا أَبَتِ، أَنْ تُرْسِلَهُ إِلَى بَيْتِ أَبِي، لِأَنَّ لِي خَمْسَةَ إِخْوَةٍ، حَتَّى يَشْهَدَ لَهُمْ بِكَيْلًا يَأْتُوا هُمْ أَيْضًا إِلَى مَوْضِعِ الْعَذَابِ هَذَا»
(لوقا ١٦: ٢٧-٢٨)

رغم أنّ هذا الرجل كان يُعاني من عذاب شديد، إلّا أنه استطاع أن يتذكّر حياته على الأرض. كما أنه كان يعرف أنّ إخوانه الخمسة لم يكونوا يتمتّعون بعلاقة سليمة مع الله ممّا جعله راغباً في تحذيرهم.

فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: «عِنْدَهُمْ مُوسَى وَالْأَنْبِيَاءُ، لِيَسْمَعُوا مِنْهُمْ». فَقَالَ: «لَا، يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، بَلْ إِذَا مَضَى إِلَيْهِمْ وَاحِدٌ مِنَ الْأَمْوَاتِ يُنْوِينُ، فَقَالَ لَهُ: «إِنْ كَانُوا لَا يَسْمَعُونَ مِنْ مُوسَى وَالْأَنْبِيَاءِ، وَلَا إِنْ قَامَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَمْوَاتِ يُصَدِّقُونَ»
(لوقا ١٦: ٢٩-٣١)

قرأنا في الصفحات السابقة أنّ الرب يسوع أقام شخصاً من القبر. لكن رغم تلك المعجزة المدهشة إلّا أنّ كثيرين لم يقبلوه مُخلصاً وملكاً على حياتهم. بل في حقيقة الأمر أنهم راحوا يتأمرون لقتله! ويقول لنا الكتاب المقدّس إنه إذا رفض الناس أن يؤمنوا برسالة الخلاص

التي أعلنتها أنبياء الله فسوف يحدث الآتي:
«... وَلَا إِنْ قَامَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَمْوَاتِ يُصَدِّقُونَ»

(لوقا ١٦: ٣١)

إنّ وصف الجحيم يُشبه بحيرة النار.^٢ والكتاب المقدس يقول إنّ الأشخاص الذين يدخلون الجحيم إنّما يدخلون مكان العقاب الأبدي.

٦ . القبول والخيانة



وَمَا قَرَّبُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى بَيْتِ فَاجِي وَبَيْتِ عُنْيَا، عِنْدَ جَبَلِ الرِّثْيُونِ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلَامِيذِهِ، وَقَالَ لَهُمَا: «اذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا، فَلِلْوَقْتِ وَأَنْتُمَا دَاخِلَانِ إِلَيْهَا تَجِدَانِ جَحْشًا مَرْبُوطًا لَمْ يَجْلِسْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ. فَخَلَّاهُ وَأَتِيَا بِهِ»

(مرقس ١١: ٢٠)

فَأَتِيَا بِالْجَحْشِ إِلَى يَسُوعَ، وَأَلْقِيَا عَلَيْهِ نِيَابَهُمَا فَجَلَسَ عَلَيْهِ، وَكَثِيرُونَ فَرَّشُوا نِيَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ. وَآخَرُونَ قَطَعُوا أَغْصَانًا مِنَ الشَّجَرِ وَفَرَّشُوهَا فِي الطَّرِيقِ. وَالَّذِينَ تَقَدَّمُوا، وَالَّذِينَ تَبِعُوا كَانُوا يَصْرُخُونَ قَائِلِينَ: «أَوْصْنَا مُبَارَكُ الْآتِيِ بِاسْمِ الرَّبِّ! مُبَارَكَةٌ مَمْلَكَةُ أَبِيْنَا دَاوُدَ الْآبِيَّةِ بِاسْمِ الرَّبِّ! أَوْصْنَا فِي الْأَعَالِي!» (مرقس ١١: ٧-١٠)

إن كلمة «أوصنا» تعني «خَلَّصَ الْآنَ». كان الجمهور يُقدِّم لیسوع عرضاً مُرتجلاً شبيهاً بالعروض التي تُقدِّم عادةً للترحيب بالفتاح المنتصر. فقد كانوا يهتفون ويصرخون على أمل أن يقوم بطرد مُضطهديهم الرومان.

لم يكن هؤلاء الناس يعرفون أنهم إنما يتممون نبوءة قيلت قبل ٥٠٠ سنة! فقد كتب النبي زكريا أن المُخلص سيقلى ترحيباً كهذا تماماً:

أَبْتَهِّجِي جِدًّا يَا ابْنَةَ صَهْيُونَ، اهْتَمِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكٌ يَأْتِي إِلَيْكَ، هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدَبِيعٌ، وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ آتَانِ (زكريا ٩: ٩)

كانت تلك هي المرّة الوحيدة التي سَمَحَ فيها الرب يسوع بمثل هذا الاستقبال الحافل له! وفي حقيقة الأمر أنه كان لديه سبب يدعو لذلك. فقد كان يضغط على يد هؤلاء الذين يُخططون لقتله. بعبارة أخرى، فقد كان يريدهم أن يفعلوا ذلك فوراً ودون أي تأخير.

وَكَانَ الْفَضْحُ وَأَيَّامُ الْفُطْبُرِ بَعْدَ يَوْمَيْنِ. وَكَانَ رُؤْسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ يَطْلُبُونَ كَيْفَ يَمْسُكُونَهُ بِمَكْرٍ وَيَقْتُلُونَهُ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا: «لَيْسَ فِي الْعِيدِ، لِئَلَّا يَكُونَ شَغَبٌ فِي الشَّعْبِ» (مرقس ١٤: ٢٠)

من وجهة نظر الجماهير المبهتجة، كان الوقت قد حان لكي يعلن يسوع أنه الملك الحقيقي على إسرائيل! أمّا بالنسبة للقيادة الدينيّة الذين كانوا يُخططون لقتله، فقد كان الموقف صعباً ومُحيراً. فإن كان ينبغي إبعاد يسوع عن مسرح الأحداث، فهذا هو أنسب الأوقات للقيام بذلك؛ لكنهم كانوا خائفين من ردود فعل الناس. فمن الواضح أن يسوع كان يتمتع بشعبية واسعة.

كانت المدينة مُزدحمة بالناس الذين توافدوا من كل مكان للاحتفال بعيد الفصح. وكان الكثير من هؤلاء يراقبون يسوع على أمل أن يقوم بطرد الرومان. لكن حينما بدأ الوقت يمرُّ دون صدور إعلان رسمي عن مملكته، بدأت مكانته كبطل تتلاشى بسرعة بين الناس.

وليمة الفصح

أمر يسوع اثنين من تلاميذه أن يذهبا ويعدّوا غرفة يتناولون فيها عشاء الفصح. وَمَا كَانَ أَسَاءَ جَاءَ مَعَ الْاِثْنَيْنِ عَشَرَ. وَفِيمَا هُمْ مُتَكِنُونَ يَأْكُلُونَ، قَالَ يَسُوعُ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ

وَاحِدًا مِنْكُمْ يُسَلِّمُنِي. الْأَكْلُ مَعِي،
فَأَتَّبِدُوا أَوْ يَحْزَنُونَ، وَيَقُولُونَ لَهُ وَاحِدًا فَوَاحِدًا: «هَلْ أَنَا؟» وَأَخْرَجَهُ: «هَلْ أَنَا؟»
فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «هُوَ وَاحِدٌ مِنَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِي يُعِيسُ مَعِي فِي الصَّخْفَةِ» (مرقس ١٤: ٢٠-٢٧)

حينما اختار الرب يسوع تلاميذه الاثني عشر قبل ثلاث سنوات، كان يعرف أن واحداً منهم سيخونه.

وقبل ألف سنة من تلك الحادثة، كتب النبي داود بروح النبوة عن هذه الخيانة من وجهة نظر المُخَلَّص فقال:

«أَيْضًا رَجُلٌ سَلَامَتِي، الَّذِي وَثَّقْتُ بِهِ، أَكَلَ خُبْزِي، رَفَعَ عَلَيَّ عَقِبَهُ،»

(المزمور ٤١: ٩)

الخيانة

كان الخائن هو يهوذا الإسخريوطي. فرغم أنه كان أميناً للصندوق الخاص بالتلاميذ، إلا أنه كان لصاً أيضاً. ويبدو أنه كان قد ملأ جيوبه بالمال دون علم التلاميذ. لكن الرب يسوع كان يعرف ذلك يقيناً؛ بل وحتى إبليس كان يعرف ذلك! فقد كان إبليس يبحث عن نقطة ضعف في درع يسوع. كما أنه كان يتحين الزمان والمكان الملائمين لكي يسحق المُخَلَّص الموعود إلى الأبد. وها هو إبليس يجد فرصته. فقد كان يهوذا مستعداً للتعاون معه. وحينما تم تقديم خبز الفصح، قام إبليس بمناورته.

فَبَعْدَ اللَّقْمَةِ دَخَلَ الشَّيْطَانُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «مَا أَنْتَ تَعْمَلُهُ فَاعْمَلْهُ بِأَكْثَرِ سُرْعَةٍ.. وَأَمَّا هَذَا فَلَمْ يَفْهَمْ أَحَدٌ مِنَ الْمُتَكِنِينَ لِمَاذَا كَلَّمَهُ بِهِ»

(يوحنا ١٣: ٢٧، ٢٨)

فَمَضَى وَكَلَّمَ مَعَ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَقَوَادِ الْجَنْدِ كَيْفَ يُسَلِّمُهُ إِلَيْهِمْ، فَفَرِحُوا وَمَعَاهِدُهُ أَنْ يُعْطَوْهُ فِضَّةً
حِينَئِذٍ ذَهَبَ ... يَهُوذَا الإِسْخَرِيوطِيُّ، إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَقَالَ: «مَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُعْطُونِي وَأَنَا أَسَلِّمُهُ إِلَيْكُمْ؟ فَجَمَعُوا لَهُ ثَلَاثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ»

(متى ٢٦: ١٤، ١٥)

والمدهش في الأمر أن النبي زكريا كان قد كتب قبل ٥٠٠ سنة أن المسيح سيباع بهذا الثمن بالضبط:

«... فَوَزَنُوا أُجْرَتِي ثَلَاثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ» (زكريا ١١: ١٢؛ انظر أيضاً متى ٢٧: ٣-١٠)

الخُبْزُ الْمَكْسُورُ وَالْكَأْسُ

حدث هذا السيناريو مع يهوذا في منتصف الوليمة. وحينما غادر يهوذا الخائن المكان لإكمال مهمته الشيطانية، أكمل الرب يسوع عشاءه مع تلاميذه. فقد كان هذا العشاء مهماً جداً:

وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ، أَخَذَ يَسُوعُ خُبْزًا وَبَارَكَ وَكَسَّرَ، وَأَعْطَاهُمْ وَقَالَ: «خُذُوا كُلُّوا، هَذَا هُوَ جَسَدِي»

(مرقس ١٤: ٢٢)

من الواضح أنهم لم يكونوا يأكلون جسد المسيح؛ رغم ذلك فقد قال يسوع إن خبز الفصح المكسور يرمز إلى جسده. ولا بد أن التلاميذ تحيروا! فهل لهذا علاقة بقوله السابق إنه

خُبز الحياة؟

ثُمَّ أَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ، فَشَرِبُوا مِنْهَا كُلَّهُمْ. وَقَالَ لَهُمْ: «هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ، الَّذِي يُسْفِكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ»

(مرقس ١٤: ٢٣، ٢٤)

من الواضح هنا أن هذه الصورة الرمزية تشبه الصورة الرمزية السابقة. والمقصود هنا هو أن دم يسوع سيُسفك قريباً لأجل كثيرين. وسوف نرى أهمية ذلك في الصفحات اللاحقة من هذا الكتاب.

(مرقس ١٤: ٢٦)

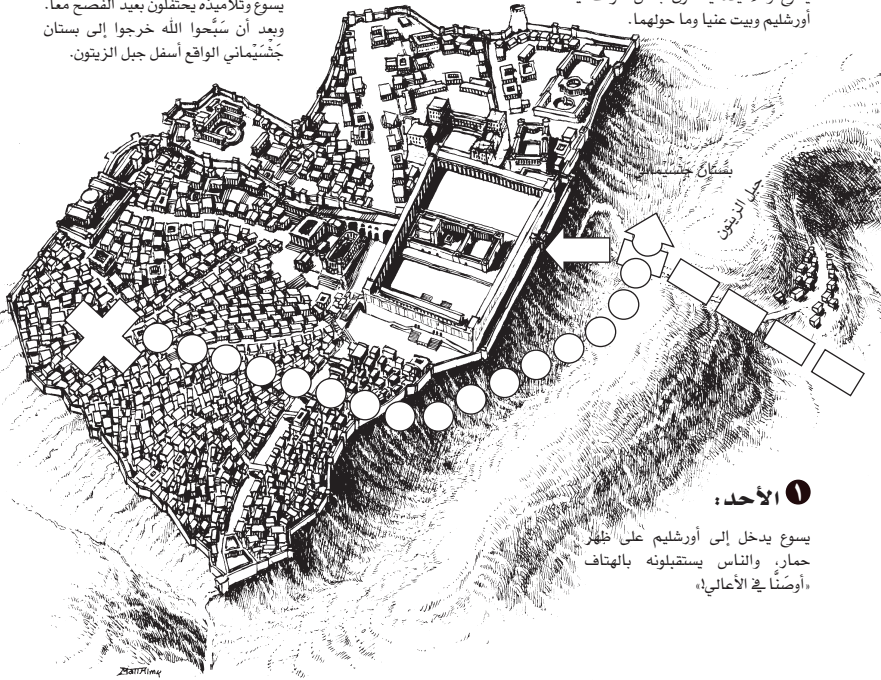
ثُمَّ سَبَّحُوا وَخَرَجُوا إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ

١ من الإثنين إلى الأربعاء؛

يسوع وتلاميذه يقضون بعض الوقت في أورشليم وبيت عنيا وما حولهما.

٢ مساء الخميس؛

يسوع وتلاميذه يحتفلون بعيد الفصح معاً. وبعد أن سَبَّحُوا الله خرجوا إلى بستان جِمْسِيمَانِي الواقع أسفل جبل الزيتون.



٣ الأحد؛

يسوع يدخل إلى أورشليم على ظهْر حمار، والناس يستقبلونه بالهتاف «أوصفاً في الأعالي».

